
رحلات سندباد
5
سندباد والحوت القاتل
د. نبيل فاروق
رسوم
إسماعيل دياب
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ ٢٨٣٥٥٥٤ ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢


5
سندباد
والحوت القاتل
بقلم
د. نبيل فاروق
رسوم
إسماعيل دياب
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ ٢٨٣٥٥٥٤ ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

استَنْشق (صفوانُ) نَفسًا عَميقًا مِنَ الْهَواء النقِىِّ ، وَهُو يَسْتَند إلى حَافةِ السَّفِينةِ ، التى تَشُقُّ طَريقها عَبْر الْبَحرِ ، فِى طَريقها للوَطَنِ ، وَارْتَسمَتْ عَلى شَفَتَيه ابْتسامَةُ ارْتياحٍ ، وَهُو يَقُولُ :

- الْهَواء مُنْعِشٌ ، وَالرِّياحُ مُواتِيَة ، وكُلُّ شَىْءٍ يَسِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ يا (سِنْدِباد) .

مَلأَ (سِنْدِباد) صَدْرَهُ بِالْهَواء النَّقِىِّ بِدَوْره ، قَائلاً :

- كَمْ أَعْشَقُ الْبَحْرَ عِنْدَما يَرُوقُ مِزَاجُه ، وَتَهْدَأُ عَواصِفُه ، وَلا يَمْنَحُنَا إلا رَوْعَتَه وجَمالَه .

ابْتَسَم (صفوانُ) ، قَائلاً :

- وَالصيدَ الْوَفِيرَ .

أومَأَ (سِنْدِباد) بِرَأسِه إيجَابًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

- بِمُنَاسَبَة الصَّيْد ، أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِب أَنْ يَسْتَغلَّ الرِّجَالُ الْفُرْصَة ، ويَمْلَئُون شِبَاكَهم بالأَسْمَاك ، حَتَّى نَنْسى مُشْكلَةِ التَّمْوين ، فِى الأَيَّامِ الْبَاقِيَة مِنْ رِحْلَتِنَا ، قَبْلَ أَنْ نَصِلَ للوَطَنِ .

أَجَابَه (صفوان) :

- مِنَ الأَفْضَل أَنْ نُوصِيهم بِهَذا .

لَمْ يَكد يُتمُّ عِبَارتَه ، حَتَّى ارْتَفعَ صَوْتُ



المُراقِبِ الْعُلْوِىِّ ، وَهُوَ يهْتِفُ :

ـ سَمَكَةُ ضَخْمَةُ فِى الأُفقِ يَا قُبْطان .

التقَط (سِنْدِباد) و (صفوان) مِنْظارَيْهما المقرِّبيْن ، وَتَطلَّعَا إِلى حَيْثُ يُشِيرُ الرَّجلُ ، وَقَالَ الأَوَّلُ فى بسَاطة :

ـ آه .. إنه حُوتُ أَزْرَقُ .. مِنَ الْعَجيبِ أَنْ يَظْهرَ فِى هذه المِياهِ ، فَمكانُه لَيْسَ هُنا فِى المُعْتَادِ .

قَالَ (صفوان) فِى اهتمام :

ـ هَلْ تعْلم ؟ إنَّهـا المـرَّةُ الأُولَى ، الَّتِى أَرَى فِيهـا الْحـوتَ الأَزْرَقَ يا (سِنْدِباد) وَلكنْ أَلا يَبْدُو لَكَ أَنَّهُ يَتّجه نَحْونَا ؟

أَوْمَأَ (سِنْدِباد) بِرأْسِهِ إِيجابًا ، وَقَالَ :

ـ هَذَا صَحِيحُ ، ولَكِنْ لا تَجْعَلِ الأمرَ يُقْلِقْك .. الحوتُ حيوانٌ مُسَالِمٌ بطبْعهِ ، ولَنْ يُفكِّرَ فِى مُهاجَمتِنا قَطّ ، ثُمّ إِنَّ الشّمس تَميلُ إلى المَغيبِ ، وَالْحِيتَانُ مثْلُ البَشَرِ ، تنَامُ لَيْلاً .

تَطلَّع (صَفْوَان) بِمنظَاره مَرّةً أُخْرَى إِلى الحُوتِ ، الذى بَدَا وكَأنهُ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ مُطَارَدةِ السّفينةِ ، وَغمْغَمَ :

ـ أَتَعَشَّمُ هَذا يا (سِنْدِباد) .. أَتَعشّمُ هَذا .

لَمْ تَمض نِصْفُ السّاعةِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، حَتّى اخْتَفتِ الشّمْسُ فِى الأُفُقِ ، وَرَاحَ الظّلامُ ينْتَشِرُ فِى بُطْءٍ ، وانْشَغَل (سِنْدِباد) و (صفوان)

بِعَمَلِهِم عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، حتى اقْتَرَبَ منهمْ أَحَدُ رِجَالِهِم ، قَائلاً :
- سَيِّدى القُبْطان .. هُنَاكَ شَىءٌ يَنْبَغى أَنْ تَراه فِى الْبَحرِ .
نَهَضَ (سِنْدِباد) و(صَفْوَان) بِصُحْبَةِ الرّجلِ ، الذِى أَشَارَ إِلى بُقْعةٍ صَغِيرةٍ مُضيئَةٍ ، تَتَأَلَّقُ وَسط الظَّلام ، عَلَى مَسَافةِ عِدّةِ أَمْتار مِنَ السّفِينَة ، وَهُوَ يَقُولُ :
- إِنَّها تَقْتَربُ مِنّا طُوال الوَقْتِ .
قَالَ (صَفْوان) فِى دَهْشَةٍ ، وَهُوَ يتَابعُ حَركَةَ تلْكَ الْبُقْعَةِ المُضِيئَةِ :
- عَجَبًا ! مَا هَذَا الشىْءُ المُضِىءُ بِالضَّبْطِ ؟
أَجَابَه (سِنْدِباد) فِى حَيْرَةٍ :
- لَسْتُ أَدْرِى يا (صَفْوان) ، ولكنّه يَتَحرَّكُ نَحْوَنا بالْفِعْلِ .
رَاحَا يُرَاقِبَان حَرَكَةَ تلْكَ البُقْعَةِ المُضِيئَةِ فِى اهْتِمام ، حَتَّى ارْتَجفَتْ فَجْأَةً ، ثُمْ غَاصَتْ فِى الْبَحْرِ ، وَخبا تَأَلُّقُها بَغْتَةً ، فَهتَفَ (صَفْوان) :
- هَلْ رَأَيت يا (سِنْدِباد) ؟! مَاذَا حَدَثَ فِى رَأْيكَ ؟
انْعقَدَ حَاجبَا (سِنْدِباد) فِى مَزِيجٍ مِنَ الْقَلَقِ وَالتَّفْكِيرِ الْعَمِيقِ ، قَبْلَ أَنْ يَهُزَّ رَأْسَه ، قَائلاً :
- لا يُمْكِنُنى إِجابَةُ سُؤَالِك هَذَا يا (صَفْوَانُ) ، فَلَمْ أَرَ فِى حَيَاتى كُلِّها ظَاهِرةً كَهَذهِ ، وَلَيْسَ بِاسْتِطَاعَتِى تَفْسِيرُ المَوْقِف ، أَوْ ..
قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ عِبارَته ، ارْتَطَمَ شَىْءٌ مَا بِجسْمِ السّفِينَةِ ، الّتى ارْتَجَّتْ فِى عُنْفٍ ، فَفَقَدَ الجَمِيعُ تَوازُنَهم ، وَسَقَطَ بَعْضُهم أَرضًا وَهَتَفَ (صَفْوان) :
- مَاذَا حَدَثَ ؟ هَلْ اصْطَدَمْنَا بِشَىْءٍ مَا ؟
أَجَابَه (سِنْدِباد) :
- لا يُوجَدُ مَا يُمْكِنُ أَنْ نَصْطَدِمَ بِه عَلَى نَحْوٍ طَبِيعِىٍّ فِى قَلْبِ الْبَحرِ .. الأَرْجَحُ أَنَّ شَيْئًا ما اصْطَدَم بِنا .

سَأَلَهُ (صَفْوان) فِى تَوَتُّرٍ :

ـ شَىْءٌ مِثْل مَاذَا ؟

لَمْ يَكَدْ يُلْقِى سُؤَالَه ، حَتّى ارْتَفَعَ صَوْتُ أَحَد البحّارَةِ ، يَهْتِفُ :

ـ يا إِلَهى ! انْظُرْ يا قُبْطان .

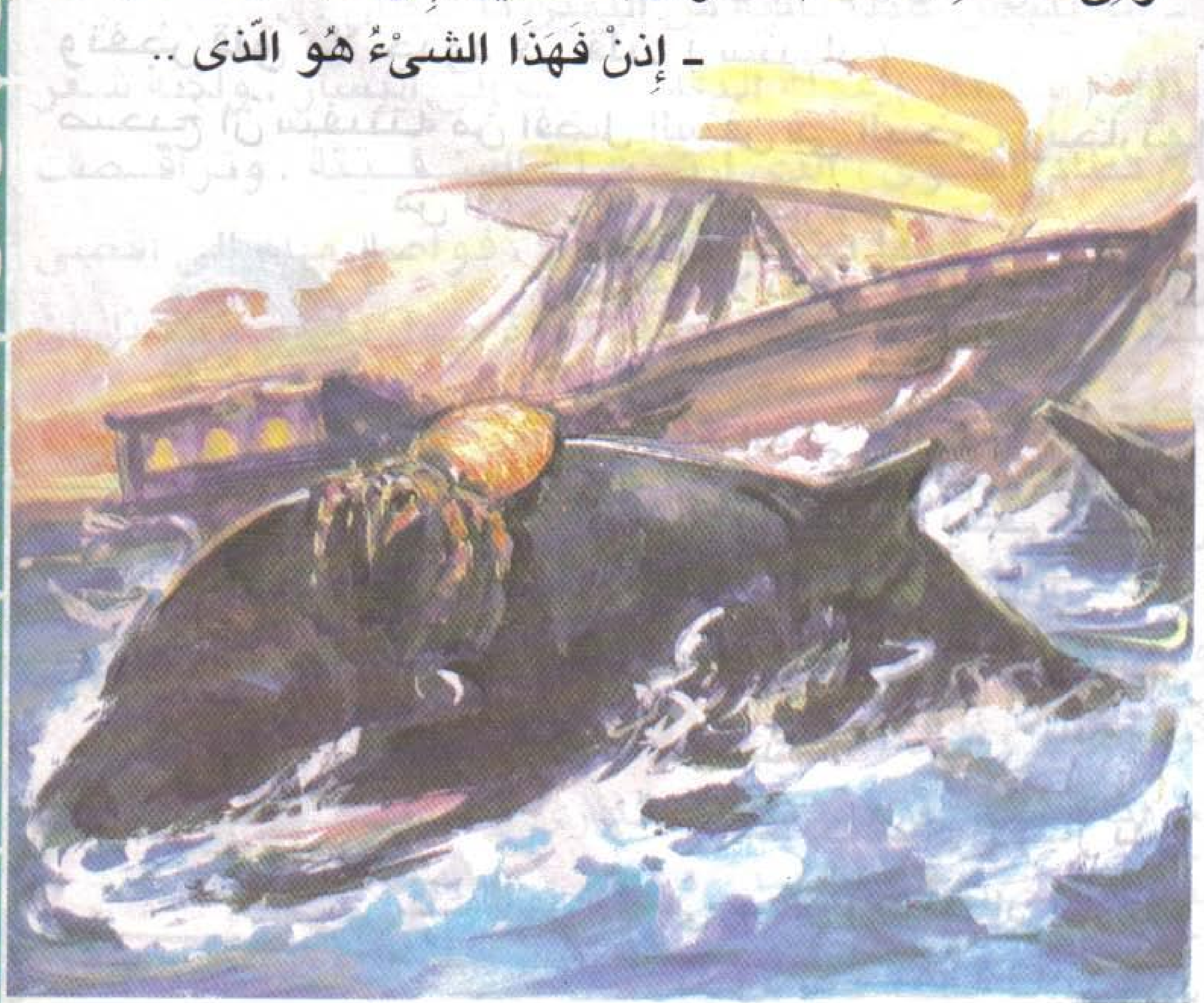
انْدَفَع (سِنْدِباد) إِلى حَيْثُ يُشِيرُ الرَّجلُ ، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ فِى دَهْشَةٍ بالِغَةٍ ، عِنْدمَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى الحُوتِ الضَّخْم ، الذى يَسْبَحُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ السّفينةِ ، وَالّذى اسْتَدارَ فِى بُطْءٍ لِيُوَاجِهَ جَانِبِها الأَيْمن ، وكَأَنّه يَسْتعدُّ للانْقِضاض عَلَيْها ..

وَلَكِنّ مَوْقِفَ الْحُوتِ لَمْ يَكُنْ هُوَ مَا أَدْهَشَ (سِنْدِباد) ، وإِنّمَا كانت تِلْكَ الْبُقْعَةُ عَلَى ظَهْرِه ، الشَّبِيهةُ بِعَنْكَبُوتٍ ضَخْمٍ ..

تِلْكَ الْبُقْعَةُ المُضِيئَةُ ..

وَفِى دَهْشَةٍ ، هَتَفَ (صَفْوان) ، مُشِيرًا إِلى الْبُقْعةِ المُضيئَةِ :

ـ إِذنْ فَهذَا الشىْءُ هُوَ الّذى ..



قاطعهُ (سِنْدِباد) ، وهُوَ يعْدُو نحْوَ عجلةِ الدّفّةِ ، هاتِفًا :
ـ إلى اليسار يا رجالُ ، وبأقْصَى سُرْعة .
جذبَ الرِّجالُ الأشْرعةَ ، وأدارَ هُوَ عجلةَ الدّفّةِ ، فِى نَفْسِ اللّحْظةِ الّتى انْقضّ فيها الْحُوتُ ثانيةً ، وارْتطم بِجانِبِ السّفِينَةِ فِى قُوّةٍ ..
وعلَى الرّغْمِ مِنَ الارْتِجاجِ الْقوِىِّ ، إلا أنّ مُناورةَ (سِنْدِباد) النّاجِحةَ خفّفتْ كثِيرًا مِنْ أثْرِ الصّدْمةِ ، ومنعتْ تحطُّمَ جانبِ السّفِينةِ على الأقلِّ ، فصاحَ (سِنْدِباد) :
ـ والآن إلى الأمام .. ابْتعدُوا بقدْرِ الْمُسْتطاع .
انْفردتِ الأشْرعةُ كُلُّها ، وانْطلقتِ السّفِينةُ تشُقُّ الْبحْرَ بِأقْصَى سُرْعة ، فِى مُحاولةٍ للابْتعادِ عنِ الحُوت ، الّذى ظلّ ثابتًا فِى مكانِه لحظاتٍ ، ثُمّ انْطلقَ خلْفَها فِى إصْرارٍ واضحٍ ..
وتفجّرَ قلقٌ بلا حُدُودٍ فِى قلْبِ (سِنْدِباد) ..
صحِيحٌ أنّ سفِينتَهُ مِنْ أفْضلِ السُّفُنِ فِى الْبحْرِ ، وبحّارتُها مِنْ أقْوى وأبْرعِ البحّارةِ ..
ولكنّ هذا لا يكْفى لِمواجهة الحُوت فِى مملكته ..
ولا لِقتاله فِى عالمِه ..
بلْ قدْ لا يكْفى حتّى للفِرار منه ..
وخاصّةً مع حُوتٍ ثائرٍ كهذا ..
كانتْ هذه الأفْكارُ تدُورُ فِى عقْلِ (سِنْدِباد) ، وهُوَ يقودُ سفِينتهُ للابْتعادِ



بِأقْصى سُرْعة ، ولَكنّه سمعَ (صفْوان) يهْتفُ :

ـ إنَّهُ ينْقضُّ علَيْنا ثانيةً منَ الْيمِينِ يا قُبْطان .

أدارَ (سِنْدِبادُ) عجلَةَ الدّفّةِ بسُرْعةٍ إلَى اليسارِ ، ولَكنّه شعَرَ بالارْتِطَامِ الْقَوِىِّ ، الّذى ارْتَجّت لَهُ السّفِينَةُ ، وتَراقصَتْ صَوارِيها ، وكأنَّها تهُمُّ بالانْقِضاضِ ، فواصلَ ميْله إلَى أقْصى اليسارِ ، ودارَ بِالسّفِينَةِ نِصْفَ دوْرَةٍ حوْلَ نفْسِها ، قبْلَ أنْ يَصِيحَ فِى رجالِه :

ـ افْردُوا الأشْرعَةَ عنْ آخرِها .. سنَنْطلِقُ إلى الأمام .

كَانَ يَتوقّعُ أنْ يُواصِلَ الحُوتُ مُطاردتَهما فى إصْرار ، إلا أنّهُ فُوجِئَ بِه يَتوقّفُ ، والْبُقْعةُ العنكبُوتيةُ المُضِيئَةُ على ظهْرِه تتألّقُ أكْثر وأكْثر ، فقَال (صفْوان) فِى توتّر :

ـ أنَا مُسْتَعِدٌّ لدفع نِصْف عُمْرى ، مُقَابلِ معْرفةِ سِرِّ تِلْكَ البُقْعةِ المُضِيئَةِ .

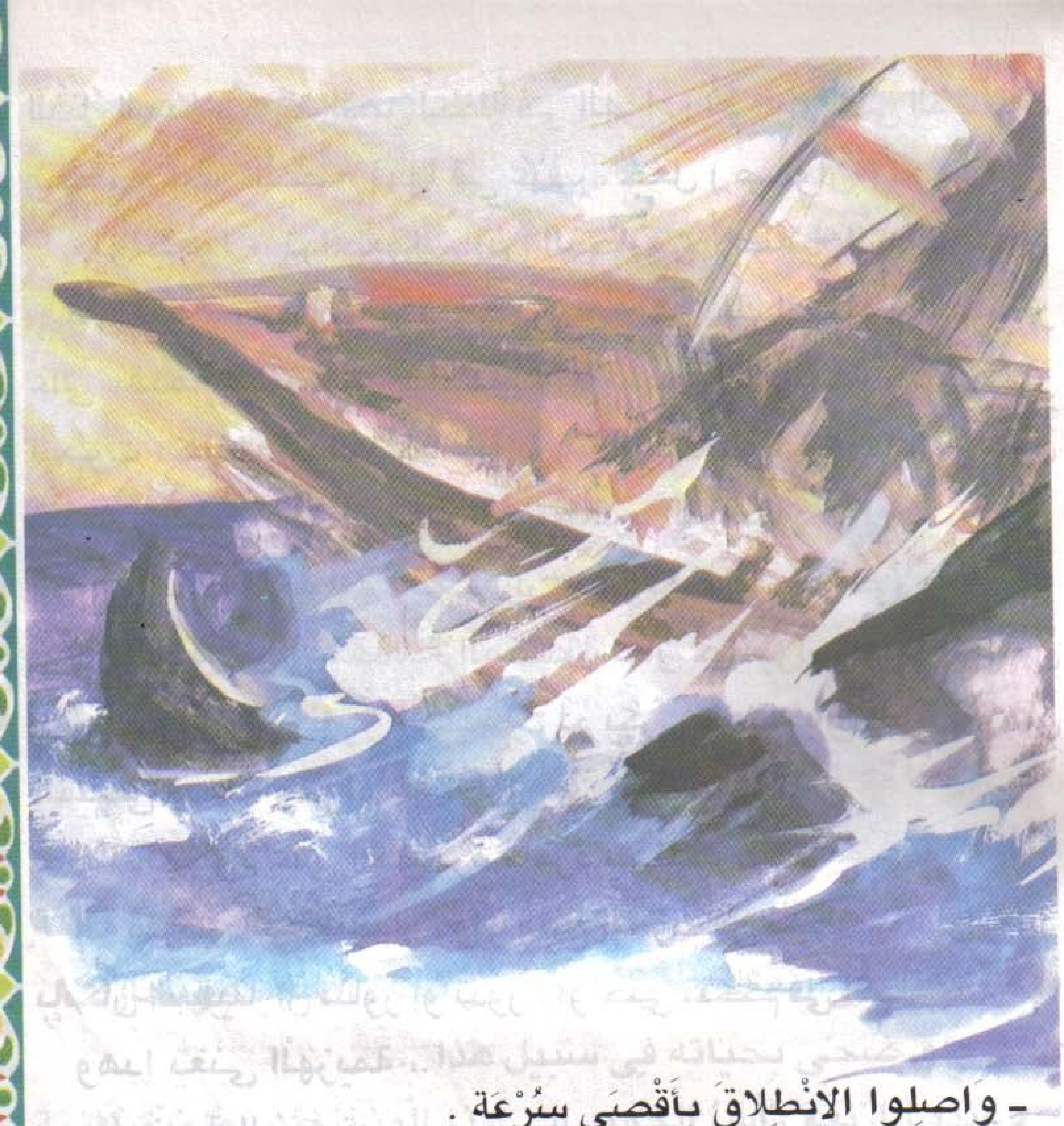


قَالَ (سِنْدِباد) ،
وَهُوَ يتطلَّعُ إلِيْها فِى قَلَقٍ :
- مَنْ يدْرى ؟ رُبَّما دفَعْتَ عُمْرك
كُلَّه ، ثمنًا لِجهْلِك بِها يا صَديقى .

لَمْ يكَدْ يُتِمُّ عِبارَته ، حتَّى راحَ الحُوت يغُوصُ فِى الْبَحْرِ ، ومَعَه تِلْك البُقْعَةُ المُضيئَةُ ، و (صفوان) يقُولُ مُتوتِّرًا :

- هذَا يُضَاعفُ مِنْ قلَقِى وتَوتُّرِى ، فَعِنْدما يظَلُّ علَى السَّطح ، يُمْكِنُنا تحْديدُ موْقعِه علَى الأقل .

صَمتَ (سِنْدِباد) لحظَاتٍ ، وهُوَ يُفكِّرُ فِى الأَمْر ، ثُمَّ صَاح فِى رجَالِه :



- واصِلوا الانْطِلاقَ بأَقْصَى سُرْعَة .

واصلَتِ السَّفِينَةُ مَسِيرَتَهَا فِى خَطٍّ مُسْتَقِيم ، وقَدْ خَيَّمَ عَلَيْها صَمْتٌ رَهِيبٌ ، شَارَكَتْها فِيه الطَّبِيعةُ المُحِيطَةُ ، وكَأَنَّما تُرهِفُ الرِّياحُ سَمْعَها ، وتَتَأَهَّبُ الأَمْوَاجُ فِى حَذرٍ ، و..

وفَجْأَةً ، حدَثَ الارْتِطامُ العَنِيفُ ..

ارْتِطَامٌ جَاءَ مِنْ قَاعِ السَّفِينَةِ هذهِ المَرَّةَ ، وارْتَفَعتْ مَعَه مُقدِّمَتُها عَلَى نَحْو مُخِيف ، قَبْلَ أَنْ يَبْرُزَ رَأْسُ الحُوتِ ، وقَدِ التَصَقَتْ بِقِمَّتِه تِلْكَ البُقْعَةُ المُضِيئَةُ ، الشَّبِيهَةُ بِعَنْكَبُوتٍ ضَخْم ، قَبْلَ أَنْ يَعُودَ لِلغَوْصِ فِى المَاءِ ، مُثِيرًا مَوْجَةً هَائِلَةً ، هَوَتْ فِى قَلْبِ السَّفِينَةِ لِتَغْمُرَها بالمِيَاهِ ، فِى نَفْسِ اللَّحظَةِ الَّتى ارْتَفَعَ فِيها

الذَّيْلُ العِمْلاقُ ، وتَرَاقَص لَحْظَةً فِى الْهَواءِ ، ثُمَّ هَوَى عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، وَحَطَّمَ حاجِزَ السَّطْح فيهَا فِى عُنْفٍ ، جعلَ (صفوان) يصْرخُ :

- تَرَاجعُوا .. تراجعُوا .. أيْنَ النَّجَّارُون لإِصْلاح الْحَاجِزِ .

كَانَ قلقُ (سِنْدِباد) قدْ بلَغَ ذرْوتَه ، معَ ذَلِكَ الهُجُوم المُبَاشِرِ عَلَى مُقدِّمَةِ السَّفِينَةِ ، خَاصَّة وأنّ البُقْعَةَ المُضِيئَةَ ، عَلَى ظَهْرِ الحُوتِ ، كَانَتْ تَزْدادُ تَأَلُّقًا مَعَ مُرُور الوقْتِ ، والحُوتُ يَدُورُ حوْلَ نَفْسِه ، وَيَبْدُو وكأنّهُ يتَّجِهُ إِلى مؤَخَّرةِ السَّفِينةِ ..

وَهَذا يَكْفِى لإِصابَةِ (سِنْدِباد) بِخَوْفٍ هائلٍ حقِيقِىٍّ ..

فَالهُجُومُ علَى مُقدِّمَةِ السَّفِينَةِ كَانَ خَطِيرًا بالْفِعْلِ ، ولَكِنْ حتَّى مَعَ تَحطُّم حاجِزِ المُقَدِّمةِ ، لَمْ يكُنْ هذَا لِيعُوقَ السَّفِينةَ عَنِ المُضِىِّ قُدُمًا ، ومُواصلةِ الْفِرار مِنَ الحُوتِ ..

أَما الهُجُومُ على المُؤَخِّرَةِ فأَمْرُه يخْتَلِفُ ..

إِنَّه يُعَرِّضُ الدَّفَّةَ للخَطَرِ ، ولَوْ نَجحَ الحُوتُ فِى تَحْطِيمِها ، لَنْ يعُودَ بإِمْكانِ السَّفِينَةِ أنْ تُنَاوِرَ أوْ تَدُورَ ، أوْ حتَّى تتَحكَّمَ فى اتِّجاهِها ..

وَهَذا يَعْنِى الْهَزِيمَةَ ..

والْهَزِيمةَ المُنْكَرةَ ..

وَبِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِن حُنْكَةٍ وَمَهَارةٍ ، رَاحَ (سِنْدِباد) يُنَاوِرُ وَيُحَاوِرُ بالسَّفِينَةِ ، لِتَفَادِى انْقِضاضةِ الحُوتِ علَى مُؤَخِّرتِها ..

ولَكِنَّ الحُوتَ دارَ حوْلَ السَّفِينةِ بِحرَكةٍ بارِعةٍ ، قَبْلَ أنْ يَغُوصَ فِى الماءِ ، ثُمَّ يَبْرُزَ فَجْأَةً عِنْدَ نِهايةِ جَانِبِها الأيْسر ، وانْقَضَّ عليها فِى قُوةٍ اقْتَلَعتْها مِنْ سَطْحِ الْماءِ ، وأَزَاحتْها عِدَّةَ أمْتارٍ إِلى اليَمِينِ ، ثمَّ ارْتَفعَ رأْسُ الحُوتِ ، مُتَجاوِزًا ارْتِفاعَ السَّفِينةِ ، حتَّى اسْتَوعَبتْ عَيْنُهُ الضَّخْمةُ سَطْحها كُلَّهُ ، و (صفوان) يصْرخُ فى تَوتُّرٍ بِلا حُدُودٍ :

- احتَرِسْ يا (سِنْدِباد) .. احْتَرِس .

لَمْ يكُنْ (سِنْدِباد) قدْ تَخلَّى عنْ عَجلَةِ الدَّفَّةِ ، علَى الرَّغْمِ



مِنْ هُجُومِ الحُوتِ الشَّرِسِ ، الَّذِى تَمَّ عَلَى بُعْدِ أَمْتَارٍ ثَلاثَةٍ مِنْه ، لِثِقَتِه فِى أَنَّه المَسْئُولُ الأَوَّلُ عَنْ نَجَاةِ السَّفِينَةِ وبَحَّارَتِها ، حَتَّى وَلَو ضَحَّى بِحَيَاتِه فِى سَبِيلِ هَذَا ..

وَعِنْدَمَا ارْتَفَعَ رَأْسُ الحُوتِ إِلَى هَذَا الْمَنْسُوبِ ، وَلِمُدَّةِ ثَانِيةٍ وَاحِدَةٍ ، سَرَتْ قُشَعْرِيرَةٌ بَارِدَةٌ فِى جَسَدِ (سِنْدِبَاد) ..

لَمْ يَكُن سَبَبُ هَذِهِ القُشَعْرِيرَةِ هُوَ الْخَوْفَ مِنَ الهُجُومِ العَنِيفِ ..

وَلَمْ يَكُن هُوَ حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةَ ، الَّتِى التَقَتْ فِيهَا عَيْنَاهُ بِعَيْنِ الحُوتِ الضَّخْمَةِ ، الَّتِى بَدَتْ وَكَأَنَّها تَرْمُقُه بِنَظْرَةٍ خَاصَّةٍ مُتَحَدِّيَةٍ ..

وَإِنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ البُقْعَةَ المُضِيئَةَ ، الشَّبِيهَةَ بِالعَنْكَبُوتِ ..

لَقَدْ بَدَت لَهُ ، فِى تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، أَشْبَه بِعَنْكَبُوتٍ حَقِيقِىٍّ ضَخْمٍ ، تَنْتَهِى أَطْرَافُه الثَّمَانِيَةُ بِمَخَالِبَ حَادَّةٍ ، انْغَرَسَتْ فِى جِسْمِ الحُوتِ ، وَتَشَبَّثَتْ بِه فِى قُوَّةٍ ، فِى حِينِ يَبْدُو فِى مُقَدِّمَتِه زَوْجٌ مِنْ أَعْيُنٍ مَاسِيَّةٍ ، أَطَلَّ مِنْهَا شَرُّ الدُّنيا كُلُّهُ ..

وَفِى اللَّحْظة التَّالِيَةِ ، كَانَ الحُوتُ يَهْبطُ إلى المَاءِ ، وَذيْلُه الْهَائِلِ يَرْتَفِعُ إِلَى أَعْلَى ..

وَأَدارَ (سِنْدِباد) عَجلَةَ الدَّفَّةِ بكُلِّ قُوّتِه إِلَى اليَمِين ، قَبْلَ أَنْ يَهْبطَ الذَّيْلُ الهائلُ ، الّذى أَخْطَأَ الدفَّةَ بِعشْرِين سَنتيمترًا أَوْ أَقل ..

وفى أَسًى يَائس ، هَتَفَ (صَفْوَان) :

- يَبْدُو أَنَّنا لَنْ نَنْجُوَ مِنْه قَطّ يا (سِنْدِباد) .. أَمَا زلتَ تُصِرُّ عَلَى أَنَّ الحِيتَانَ حَيَوانَاتٌ مُسَالِمةٌ بطَبْعِها .

أَجَابَه (سِنْدِباد) ، وَهُوَ يُوَاصلُ الْمُنَاوَرَةَ :

- لا شَكَّ فِى هَذَا يَا (صَفْوان) .. حَتَّى الصَّيَادُون ، الّذِينَ يَخْرُجُون لِصيْدِ هَذِه الحيتانِ ، لا يُوَاجِهون كُلَّ هَذَا الخَطَرِ .

صَاحَ (صَفْوَان) ، وَهُوَ يُتَابِعُ الحُوتَ ، الَّذِى اسْتَدَارَ مُسْتَعِدًا لِشنِّ هُجُوم جَدِيدٍ عَلَى السَّفِينَةِ :

- مَاذَا أَصابَ هَذَا الحُوتَ القَاتِلَ إذَن ؟! إنَّه يُطَارِدُنا بإصْرَارٍ مُخِيفٍ ، وأَعْتَقِدُ أَنَّنَا لَسْنا أَهْلاً لِمواجَهته .

قَالَ (سِنْدِباد) ، وَهُوَ يُدِيرُ عَجلَةَ الدَّفَّةِ مَرَّةً أُخْرى ، فِى مُحَاوَلَة للفِرار مِنَ الهُجُوم :

- إنَّنَا نَبْذُلُ قُصارى جهْدِنا يا (صَفْوَانُ) ، وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللَّه سُبْحَانه وَتَعالَى .

ارْتَطَم جَانِبُ الحُوتِ بالسَّفِينَةِ ، فِى اللّحْظَةِ نَفْسِها ، وَهَتَفَ أَحَدُ الرِّجَالِ فِى هَلَع :

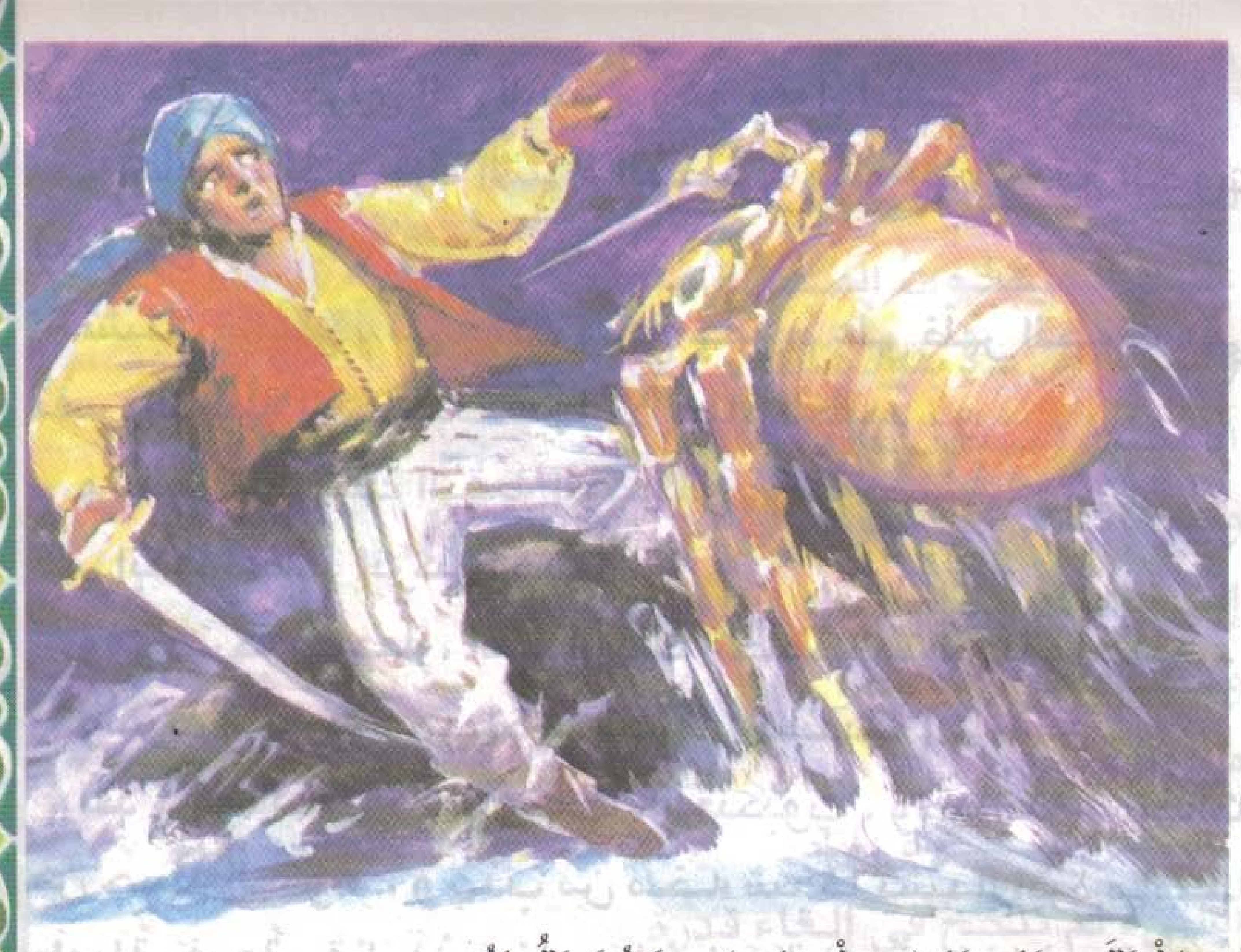
- هُنَاك إصَابَةٌ فِى جَانِبِ السَّفِينَةِ يا قُبْطان .. المِياهُ تَتَدفّقُ فِى أَسْفل .

هَتَفَ (صَفْوَان) :

- سُدُّوا الثُّقْبَ بِأَىِّ شَىْءٍ .. أَسْرِعُوا باللّهِ عَلَيْكُم ، قَبْلَ أَنْ تَغْرَقَ السَّفِينَةُ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى (سِنْدِباد) ، قَائِلاً :

- أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يا (سِنْدِباد) : لَنْ نَنْجَح أَبدًا هَذهِ المرّة .



انْعَقَد حَاجِبَا (سِنْدِبَاد) ، وَهُوَ يَقُولُ :
ـ تِلْكَ البُقْعَةُ المُضِيئَةُ .
قَالَ (صَفْوَان) فِي حَيْرَةٍ :
ـ مَاذَا ؟! مَاذَا تَعْنِي يا (سِنْدِبَاد) ؟
كَانَ الحُوتُ يَنْقَضُّ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى السَّفِينَةِ ، عِنْدَمَا تَخَلَّى (سِنْدِبَاد) عَنْ عَجَلَةِ الدَّفَّةِ بَغْتَةً ، وَهُوَ يَهْتِفُ بِصَدِيقِه (صَفْوَان) :
ـ خُذِ الدَّفَّةَ .
رَآهُ (صَفْوَان) يَسْتَلُّ سَيْفَه ، وَيَنْدَفِعُ نَحْوَ البُقْعَةِ ، الَّتِي سَيَنْقَضُّ عَلَيْهَا الحُوتُ ، فَصَاحَ فِي ذُعْرٍ ، وَهُوَ يَلْتَقِطُ عَجَلَةَ الدَّفَّةِ :
ـ مَاذَا تَنْوِي أَنْ تَفْعَلَ بِاللَّه عَلَيْك ؟!
وَانْتَفَضَ جَسَدُهُ فِي عُنْفٍ ، عِنْدَمَا رَأَى (سِنْدِبَاد) يَثِبُ مِنْ فَوْقِ الحَاجِزِ ، إِلَى جِسْمِ الحُوتِ ، وَصَرَخَ :
ـ مَاذَا تَفْعَلُ أَيُّهَا الْمَجْنُون ؟
أَمَّا (سِنْدِبَاد) ، فَقَدْ هَبَطَ عَلَى ظَهْرِ الْحُوتِ ، وَغَرَسَ سَيْفَهُ

فيه ، حَتَّى لا يَنْزَلِقَ إِلَى البَحْرِ ، وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِه :

ـ أَكادُ أُقْسِمُ أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ المُضِيءَ ، هُوَ الّذِى يَدْفَعُ الحُوتَ لِعَمل كُلِّ هذَا .

تَشَبَّثَ بالسَّيْفِ فِى قُوَّةٍ ، وَدَفَعَ جَسَدَهُ عَلَى ظَهْرِ الحُوتِ ، فِى نَفْسِ اللّحْظَةِ الّتِى حَدَثَ فِيها الارْتِطَامُ الجَدِيدُ ، و ..

وانْقَضَّ عَلَى تِلْكَ البُقْعَةِ المُضِيئةِ ، وَهُوَ يَصْرُخُ :

ـ ابْتَعْد عَنا .. اترُكنا لِحالنا ..

وَفِى حَرَكَةٍ سَرِيعةٍ ، اسْتَدارَ ذَلِكَ الْجِسْمُ المُتَأَلِّق لِمُواجَهتِهِ ..

وَسَرَتْ قُشَعْرِيرَةٌ جَدِيدَةٌ فِى جَسَدِ (سِنْدِباد) ..

لَقَدْ كَانَ بِالْفِعْلِ كَائنًا شَبِيهًا بِالْعَنْكَبُوتِ ، وَلَقَدِ انْتَزَعَ مَخَالِبَه مِن جِسْمِ الحُوتِ ، وَجَذَبَ مِنْ مُخِّهِ شَيْئًا يُشْبِهُ إِبْرَةً ماسيَّةً طَوِيلَةً رَفِيعةً ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَدِيرَ لِمُواجَهَةِ (سِنْدِباد) فِى شَرَاسَةٍ وَاضِحةٍ ، وَعَيْناهُ الماسِيَّتَان تَتَأَلَّقان عَلَى نَحْوٍ مُخِيفٍ ..

وَأَشْهَر (سِنْدِباد) سَيْفَه ، وَهُوَ يَقُول فِى انْفِعالٍ :

ـ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ الْمَسْئُولُ عَنْ هذَا ، أيًا كُنْت .

وَفَجْأَةً ، وَقَبْلَ أَنْ يُضِيفَ حَرْفًا وَاحِدًا ، انْقَضَّ عَلَيْه ذَلِكَ العَنْكَبُوتُ المُضِيءُ فِى وَحْشِيَّةٍ ، وَهُوَ يُصْدِرُ صَوْتًا رَفِيعًا حَادًا ، لَمْ يَسْمَعْ (سِنْدِباد) مِثْله مِن قَبْلُ قَطّ ..

وَمَعَ الانْقِضَاضةِ المُبَاغتةِ ، فَقَدَ (سِنْدِباد) تَوازُنَهُ ، وَوَجَدَ نَفْسَه يَسْقطُ فِى البَحْرِ ، وَيَغُوصُ فِى الماءِ إِلَى عُمْقٍ كَبِيرٍ ، قَبْلَ أَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَيَبْدَأَ مُحَاوَلَته للصُّعُودِ إِلَى السَّطْح ..

وَفَجْأَة ، وَجَدَ ذَلِكَ الشَّيْءَ الشَّبِيه بالعَنْكَبُوتِ فِى مُواجَهتِه ..

كَانَ يَسْبَحُ مُتَّجِهًا إِلَيْه ، وَإِبْرَتُه الماسِيَّةُ مُتَأَهِّبَةٌ للانْغِراسِ فِى مُخِّه مُبَاشَرة ، كَما كَانتْ مَعَ الحُوتِ ، الّذى اسْتَعادَ هُدُوءَه تَمامًا ، فَوْر ابْتِعادِ ذَلِكَ الشَّيْء عَنْهُ ..

وَعِنْدَما رَفَعَ (سِنْدِباد) سَيْفَه ،
لِيَصُدَّ الهُجُومَ المُخيفَ ، قَبَضَ
عَلَيْه العَنْكَبُوتُ المُتَالِّقُ ،
وانْتَزَعَهُ مِنْ يدِه بِقوَّةٍ هَائلة ،
أَدْهَشَتْ (سِنْدِباد) ،
وَهُوَ يُجَاهِدُ للصُّعُود
إلى سَطْحِ المَاءِ ،
وَالتِقاطِ نَفَسٍ عَمِيق
مِن الهواءِ النَّقِيِّ ..

وَلَكِنَّ قُوَّةَ ذَلِكَ
الشَّيءِ لَمْ تَنْجَحْ فِى إلْغاءِ قُدرة
(سِنْدباد) عَلَى التَّفْكِيرِ وَالمُواجَهة ..

لَقَدِ اسْتَلَّ خِنْجَره بِسُرعَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يُعَاوِدَ شَبِيهُ العَنْكَبوت المُضِيءِ هُجُومَهُ ، وَهُوَ يَسْتَعِدُّ لِغَرْسِ مَخالِبِه فِى جَسَدِه ، و..

وَبِحركَةٍ سَرِيعةٍ ، انْغَرسَ خِنْجَرُ (سِنْدِباد) فِى مُنْتَصَفِ جِسْمِ العَنْكَبُوتِ المُضِيءِ تَمامًا ..

وكَان رَدُّ الفِعْلِ هَائِلاً لِلغاية ..

لَقَد انْطَلَقَتْ فِى الأَعْماقِ صَرْخَةٌ رَهيبَةٌ ، كَادت تَخْتَرِقُ أُذُنَىْ (سِنْدِباد) وَتُصِيبُهما بالصَّمم ، فِى نَفْسِ الوَقْت الَّذى تَضَاعَف فِيه تَأَلُّقُ جَسد العَنْكَبُوت عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى الأقلِّ ، حَتَّى صارَ أَشْبَهَ بِشَمْسٍ صَغِيرةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَخْبُوَ هذَا التَّأَلُّقُ بَغْتَةً ، وينْتَهى الأمرُ فِى لَحْظَةٍ ، وَيَتَلاشَى جِسْمُ العَنْكَبُوتِ تمامًا ، وكَأَنَّما لَمْ يكُنْ لَهُ وُجُودٌ مِنْ قَبلُ ..

وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ هذَا الشَّيءُ يا (سِنْدِباد) ؟

أَلْقَى (صَفْوَان) سُؤَالَه هَذَا عَلَى (سِنْدبَاد) ، بَعْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى سَطْحِ السَّفِينَة ، فَهَزَّ الأَخِيرُ رَأْسَه ، قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ :

ـ لا أَحَدَ يُمكنُه إِجَابَةُ سُؤَالِكَ يا (صَفْوَان) ، وَلكنَّ المُهِمَّ أَنَّ ذَهَابَه أَعَادَ المِيَاهَ إِلَى مَجَارِيها .. لَقَدْ هَدَأَ الحُوتُ ، وَاسْتَعَادَ طَبِيعَتَه المُسَالِمَةَ ، وَسرعَانَ ما يَنْتَهِى الرِّجَالُ مِنْ إِصْلاحِ ما أَصَابَ السَّفِينَةَ ، وَنُوَاصِلُ رِحلَتَنَا إِلَى الوَطَنِ ..

وَتَنَهَّدَ قَبْلَ أَنْ يُضِيفَ :

ـ وَلْنَحْمَدِ اللَّه (سُبْحَانَه وَتَعَالَى) ، عَلَى أَنَّ كلَّ شَىْءٍ قَدِ انْتَهَى بِسَلامٍ يا صَدِيقِى ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ نَفْهمْ مَا حَدَثَ ، وَمَنْ يَدْرِى ؟ رُبَّمَا يَفْهَمُ أَحْفَادُنا فِى المسْتَقبل ..

قَالَها وَهُوَ يَتَطلَّعُ إِلَى الأُفقِ ، حَيْثُ تُشْرِقُ الشَّمْسُ ، حَامِلَةً بِدَايَةَ يَوم جَدِيدٍ ..

وَأَمَلٍ جَدِيدٍ .

* * *

(تَمَّت بِحَمْدِ اللّه)

رقم الإيداع : ٢٠٠٠٠
الترقيم الدولى : ٩٧٧ - ٢٦٦ - ٢٦٢٠٠



رحلات سندباد

هذه السلسلة تقدّم لك مغامرات جديدة ، من طراز خاص وفريد ..

إنها ليست رحلات (سندباد) السبع الشهيرة ، التى طالعتك من قبل ، فى (ألف ليلة وليلة) ..

إنها رحلات (سندباد) جديد ..

(سندباد) عصرى ، يمتزج فى مغامراته الخيال العلمى ، وروح الأساطير ، وعبق التاريخ ..

وفى كل مرة ستخوض مع (سندباد) وسفينته مغامرة جديدة .. ورحلة جديدة ..

وفى كل مرة سيحيط بك خليط من الغموض والإثارة والإبهار والحركة ..

هذا لأنها ليست رحلات عادية ..

إنها رحلات (سندباد) ..

(سندباد) الجديد .



مطابع سلاح التلميذ